# إهتداء بولس: بين المضطهد والداعية

**د. جوني عواد**
**كلّيّة اللاهوت للشرق الأدنى**

## مقدّمة

ما هو سرّ هذا الفريسيّ اليهوديّ الذي تحوّل فجأة من مضطهد للمسيح وكنيسة المسيح إلى الداعية بإمتياز بإنجيل المسيح بين الأمم ؟ ما هي أسباب اضطهاده المفرط لكنيسة المسيح؟ ما الذي أختبره هذا المتدين، المتقدّم في الديانة اليهوديّة على كثيرين من اترابه وجنسه، على الطريق إلى دمشق؟ ما هي تداعيات هذا الحدث على شخصه وفكره وعمله ؟

هذه الأسئلة وغيرها ستكون محط اهتمامنا في هذه المقالة القصيرة. لكن قبل الغوص بعمق في الموضوع، لا بد من بعض الملاحظات التمهيديّة.

## ملاحظات تمهيديّة

١– من الملفت، لمن يقرأ رسائل بولس، أنّه لا يتحدّث بإسهاب عن قصّة إهتدائه. هناك فقط ثلاثة نصوص يذكر فيها ما حدث على الطريق إلى دمشق، معظمها مقتضبة وتأتي في سياقات لها طابعها الجدليّ، يبدو فيها وكأنّه مضطرًا أو مجبرًا على ذكر هذا الحدث لأسباب تتعلّق بطبيعة الجدل والنقاش. هذه النصوص هي غل ١: ١٥–١٦؛ ١ كو ١٥: ٩–١٠؛ فيل ٣: ٤–١١. نصّ غلاطية هو، بإعتقادي، الأهمّ وهذا ما سأحاول تبيانه لاحقًا.

٢–كتاب أعمال الرسل يسرد قصّة اهتداء بولس ثلاث مرّات (أع ٩، ٢٢، ٢٦). لكن هناك بعض التباين في التفاصيل بين السرد والآخر. على سبيل

المثال لا الحصر في السرد الموجود في الإصحاح ٩ يقول النصّ أنّ من كان برفقة بولس على الطريق إلى دمشق سمعوا الصوت ولكنهم لم يروا أحدًا (٩: ٧). لكن عندما تُسرد القصّة على فمّ بولس نفسه حسب الإصحاح ٢٢ يقول النصّ أنّ الذين برفقته نظروا النور ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلّم بولس (٩: ٢)[١].

قد تبدو هذه التباينات في التفاصيل غير مهمّة وقد يكون مردها مصادر مختلفة للقصّة ذاتها. لكن الذي يجهد في معرفة ما حدث عليه أن يولي إهتمامًا أكبر بما يقوله بولس عن نفسه واختباره من ما يقوله الآخرين عنه، أعني بذلك البشير لوقا في كتاب اعمال الرسل. هذه ملاحظة مهمّة في منهجيّة البحث. من هنا أهمّيّة أن يكون التركيز على نصوص من الرسائل البولسيّة دون سواها للوقوف على ما حدث وتداعيات هذا الحدث.

٣–هناك نصّ قصير في الرسالة الأولى إلى تيموتاوس (١: ١٢–١٣) يتحدّث فيه كاتب الرسالة وبشكل عابر عن اختبار بولس. لكن هناك شبه إجماع بين الباحثين في حقل الكتاب المقدّس أنّ هذه الرسالة ليست من يد الرسول بولس نفسه، إنّما نسبت إليه من قبل شخص ينتمي إلى المدرسة الفكريّة البولسيّة. الكتابة تحت أسماء مستعارة كانت ممارسة شائعة في القرون الأولى ليس بهدف الغش والاحتيال بقدر ما كانت محاولة لأعطاء الرسالة القوّة والسلطان الذين كانت رسائل بولس تتمتع بهما. الكتابة تحت أسماء مستعارة كانت محاولات بريئة وغيورة لأسماع صوت الرسول في وجه تحديّات كانت تواجهها الجماعات المسيحيّة. من هذه المنطلقات سأبقي هذا النصّ أيضًا خارج التداول علمًا أنّه لا يضيف أي شيء جديد على ما بقوله بولس عن نفسه في رسائله.

(١) في السرد الموجود في الإصحاح ٩ يقول النصّ ان بولس اقتيد إلى بيت حنانيا للإرشاد والتعليم، غير أنّ السرد في الإصحاح ٢٦ يقول أنّ المسيح المقام هو الذي قام بإرشاد بولس.

بعد هذه الملاحظات التمهيديّة سأنطلق بالبحث من خلال ثلاثة محاور. في المحور الأوّل سأحاول الإجابة على السؤال التالي: لماذا اضطهد شاول الفريسيّ كنيسة المسيح بإفراط قبل اهتدائه؟ في المحور الثاني سأحاول الإجابة على السؤال التالي: ما الذي حدث على الطريق إلى دمشق؟ وفي المحور الثالث سأحاول أن ابين تداعيات الحدث على حياة وفكر ولاهوت وخدمة الرسول بولس . هذه المحاور مترابطة ببعضها البعض بحيث أنّ فهم ومعرفة أحدها لا يكتمل من دون فهم ومعرفة المحاور الأخرى.

**المحور الأوّل : لماذا اضطهد بولس كنيسة المسيح ؟**

من يريد الغوص بعمق في اختبار بولس الرسول على الطريق إلى دمشق من الضروريّ أن يفهم الدوافع التي جعلته، وحسب ما يقوله هو عن نفسه، مضطهد لكنيسة المسيح. لماذا اضطهد بولس كنيسة المسيح؟ بأي خلفيّة فكريّة ودينيّة وروحيّة خاصم الكنيسة وتعادى مع إنجيلها؟

في فيل ٣: ٥–٦ يقدّم لنا الرسول وصفًا مقتضبًا لحاله قبل الاهتداء فيقول :

«من جهة الختان مختون في اليوم الثامن من جنس إسرائيل من سبط بنيامين عبرانيّ من العبرانيّين. من جهة الناموس (أي الشريعة. والمقصود بالشريعة ليس فقط الوصايا العشر إنّما كلّ الفرائض المعطاة فيها والتي تهدف إلى تنظيم حياة اليهوديّ بكلّ ابعادها) فريسيّ. من جهة الغيرة مضطهد الكنيسة. من جهة البر الذي في الناموس بلا لوم».

اذًا قبل اهتدائه كان بولس من نخبة يهوديّة فريسيّة عرفت بإهتمامها الوثيق والتزامها الصارم بفرائض الشريعة الموسويّة، أو ما يسميها بولس بالناموس. هذه المدرسة الدينيّة اليهوديّة كان لها تراث تفسيريّ/لاهوتيّ مهم تمثل بما يسميه بولس في غل ١: ١٤–١٥ بتقليدات الآباء: «فإنّكم سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهوديّة إنّي كنت اضطهد كنيسة الله بافراط واتلفها. وكنت اتقدّم

في اليهوديّة على كثيرين من اترابي من جنسي إذ كنت أوفرَ غيرة في تقليدات آبائيّ».

تقليدات الآباء هو بمثابة تفسير للشريعة، عرفت بها المدرسة الفريسيّة، بهدف عيش فرائض الشريعة في كلّ زمان ومكان.

اذًا بولس لم يكن يهوديًّا عاديًّا. بولس كان يهوديّ فريسيّ اكثر تشددًا وتعصبًا بين متشدّدين ومتعصبين في الغيرة على الشريعة وتفسيرات الآباء لها. من ناحيته البر الذي في الناموس كان بلا لوم. من المهمّ الذكر أنّه كان للشريعة أهمّيّة مركزيّة في اليهوديّة. فهي كما تصفها احدى الكتابات الطريق إلى عيش حياة صحيحة مع الله (حياة البر). وهي السياج الذي يحمي شعب إسرائيل من دناسة الأمم (الشعوب الأخرى) ويبقيها طاهرة ناصعة بين باقي الشعوب.

هل كلّ هذا يعني أنّ اضطهاد بولس للكنيسة كان مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بغيرته على الشريعة وتقليدات الآباء؟ هذا على الأقل ما يقوله بولس عن نفسه. إذا كان هذا صحيح، ما هي بالضبط الاساءة، أو الإهانة، أو الاغاظة، التي اقترفتها الكنيسة في حقّ غيرة بولس على الشريعة وتقليدات الآباء ما استوجب اضطهادها بافراط وإتلافها؟ هذا السؤال باعتقادي هو صلب الموضوع.

إذا كان اضطهاد بولس للكنيسة مرتبط بغيرته على الشريعة وتقليدات الآباء، هل هذا يعني أنّ الكنيسة الأولى، وبالأخص المسيحيّين من خلفية يهوديّة قد بدأوا بالتراخي في عيش الشريعة والعمل بفرائضها الأمر الذي استوجب اضطهادها؟ الدليل في هذه النقطة ليس قاطعًا. من المحتمل أن يكون المسيحيّين الأوائل من خلفية يهوديّة، والذين بدأوا بالاختلاط بالأمم (أي غير اليهود) قد وجدوا أنّ الاستمرار بالعيش في كنف الشريعة، والتي كانت تعتبر سياج يحمي اليهود من دناسة الأمم، قد اصبح عبئًا على أمكانيّة الشركة مع الآخر أو عائقًا للعيش المشترك مع الآخر، ممّا اضطرهم إلى التراخي في هذا الموضوع.

بإعتقادي أنّ اضطهاد بولس للكنيسة متجذّر في شيء أعمق من ذلك. غيرة بولس على الشريعة اصطدمت بإعتراف إيمان الكنيسة الأولى أنّ يسوع

الناصريّ الذي صلب ومات على عهد بيلاطس البنطي هو المسيا ابن الله الذي أقامه الله من بين الأموات. وسبب هذا التصادم بسيط، وهو أنّ الشريعة واضحة بهذا الخصوص، فالشريعة تقول في كتاب تث ٢٣: ٢١ «بأن المعلّق (أي المعلّق على خشبة/المصلوب) ملعون من الله».

إذا كان يسوع قد علِّق على خشبة فهو ملعون من الله. حكم الشريعة عليه واضح. فكيف يكون المصلوب/الملعون مسيا وابن الله؟ كيف يقيم الله من بين الأموات مصلوبًا سبق أن اعلن لعنته الإلهيّة عليه في الشريعة؟

بولس اضطهد الكنيسة بسبب غيرته على الشريعة وبالتحديد لإيمانها بمسيا مصلوب. في رسالته الأولى إلى أهل كورنتوس، والتي كتبها سنوات بعد اهتدائه، يقول: «ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوبًا لليهود عثرة ولليونانيّين جهالة» (١: ٢٣).

بعد أن اجبت على السؤال الأساسيّ في هذا المحور، أود التطرق ولو باختصار إلى جانب مهمّ جدًا في خلفية بولس الفكريّة واللاهوتيّة. لم يكن بولس قبل اهتدائه فريسيّ فقط، إنّما أيضًا رؤيويًّا (Apocalyptic). الفكر الرؤيويّ هو لاهوت بكلّ ما للكلمة من معنى. يقوم هذا الفكر على أنّ العالم الذي نعيش فيه، بما فيه من ألم وعذاب، وإجهاض للعدالة والحقّ قد اضحى في قبضة الشيطان وقوى الشرّ ومن غير الممكن له أن يصلح ذاته بذاته. فلا نبوة ولا أنبياء باتوا قادرين على الإصلاح. الرجاء الوحيد في فداء هذا الواقع هو بتدخل مباشر من الله يعيد فيه السيطرة على الخليقة، يمحو الألم ويرفع الظلم ويقضي بالحقّ، ويدمّر قوى الشرّ التي تعيث فسادًا. اذًا الفكر الرؤيويّ هو لاهوت تحكمه ثنائيّة واضحة. هناك قوى شريرة معادية لقوى الخير. هذه القوى كونيّة ولها تأثيرها المباشر على حياة الإنسان.

لهذه الثنائيّة تداعيات مهمّة على مفهوم الرؤيويّين للتاريخ. فالتاريخ مقسوم إلى قسمين : هذا الدهر أو الدهر الحاضر الذي تحكمه قوى الشر، وهناك

الدهر الآتي في نهاية الزمان عندما سيتدخل الله ليقضي نهائيًا على هذه القوى. في الدهر الآتي سيكون يوم الدينويّة محطة مهمّة لكلّ البشريّة وعلى مدى العصور. في ذلك اليوم سيكون هناك قيامة جسديّة لكلّ البشريّة، للابرار الراحة والنعمة الابديتين وللاشرار العقاب. متّى ستكون هذه النهاية، جواب الرؤيويّين كان دائمًا في وقت قريب جدًا جدًا.

بولس المسيحيّ كان رؤيويّ بامتياز بالرغم من بعض التعديلات التي أدخلها أو أسقطها على هذا الفكر. إنّ فهمّه وتفسيره للحدث الإلهيّ بيسوع المسيح كان رؤيويًا بامتياز[٢]. أهمّيّة هذا الجانب من فكر الرسول قبل اهتدائه ستظهر في المحور الثالث.

## المحور الثاني: ما الذي حدث على الطريق إلى دمشق؟

في الرسالة الأولى إلى أهل كورنتوس الإصحاح ١٥ يقول الرسول بولس أنّ المسيح ظهر له بعدما ظهر لبطرس وللأثني عشر، وأكثر من خمسمئة اخ، ومن ثم ليعقوب. إذًا اختبار بولس كان رؤيّة للمسيح المقام. هذا الاختبار شكل نقطة التحول في حياة بولس من مضطهد للكنيسة إلى الرسول الداعية بإنجيل المسيح.

لا يمكننا الإجابة بدقّة عن المسافة الزمنيّة بين هذا الحدث وحدث القيامة. أو كيف عرف بولس أن الذي رآه هو المسيح. ما هو واضح هو يقينه أن الذي رآه كان المسيح الممجّد القائم من الأموات.

نصّ رسالة غلاطية يلقي أضواء أكثر على ما حدث على الطريق إلى دمشق. في هذا النصّ يقول الرسول بولس : «واعرفكم أيّها الاخوة الإنجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان لأني لم أقبله من عند إنسان ولا علمته، بل

(٢) للمزيد عن هذا الموضوع، أنظر جوني عوّاد، «الفكر الرؤيويّ لبولس»، **القدّيس بولس رسول الأمم**، اعداد الأب جورج خوّام البولسيّ، جونية، المكتبة البولسيّة، ٢٠٠٩، ص ٢٥–٣٢.

باعلان (Apocalupsis) يسوع المسيح. فأنّكم سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهوديّة إنّي كنت اضطهد كنيسة الله بافراط واتلفها. وكنت أتقدّم في الديانة اليهوديّة على كثيرين من اترابي في جنسي اذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائيّ. ولكن لم سَّر الله الذي افرزني من بطن أمّي ودعاني بنعمته أن يعلن ابنه فيّ لابشر به بين الأمم. لم استشر لحمًا ودمًا ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلي بل انطلقت إلى العربيّة ثم رجعت أيضًا إلى دمشق» (غل ١: ١١–١٧).

يأتي هذا النصّ في سياق جدليّ يحاول فيه الرسول الدفاع عن ألوهيّة الإنجيل الذي يكرز به وألوهيّة دعوته كرسول للأمم. فهو لم يستلم الإنجيل من لحم ودم ولم يتعلّمه من بشر بل كان باعلان يسوع المسيح. خلفية هذا النصّ الجدليّ هي أنّ بعض المتهودين، أي المسيحيّين من أصل أو خلفية يهوديّة، قد دخلوا إلى حقل خدمته في غلاطية محاولين اقناع المسيحيّين الأمم بضرورة ممارسة بعض فرائض الشريعة اليهوديّة، ومسوقين اتهامات تشكك في صدقيّة الإنجيل الذي يكرز به الرسول، وبالتالي صدقيّة رسوليته.

في الرد على هذه الإتهامات يشدّد الرسول على أنّ إنجيله كان من فوق وبإعلان يسوع المسيح. لكن ما الذي قصده بولس بعبارة «إعلان يسوع المسيح»؟ هل هذه العبارة تعني أنّ الإنجيل كمجموعة تعاليم وعقائد أتاه بواسطة يسوع المسيح؟ أمّ أنّ الإعلان كان شخص المسيح والذي يعتبره بولس الإنجيل بذاته؟

يقيني أنّ اختبار بولس على الطريق إلى دمشق كان أكثر من رؤية المسيح المقام. اختبار الرسول كان انسكاب شخص المسيح في شخص الرسول. هذا ما يؤكّد عليه بولس في العدد ١٥ من نصّ غلاطية عندما يقول: «لكن لما سَرّ الله الذي افرزني من بطن أمّي ودعاني بنعمته أن يعلن ابنه فيّ لأبشّر به بين الأمم.» اختبار بولس كان انسكاب لشخص المسيح في شخص المضطهد.

**المحور الثالث : تداعيات الحدث على فكر وخدمة الرسول**

لقد ذكرت سابقًا أنّ اضطهاد بولس للكنيسة كان بدافع غيرته على الشريعة وتقليدات الآباء. وبالتحديد فقد رأى تضاربًا وتعارضًا بين إيمان الكنيسة بمسيا مصلوب ومقام من بين الأموات وحكم الشريعة باللعنة على كلّ من عُلِّق على خشبة. إذ لا يمكن المهادنة أو المصالحة بين مسيا مصلوب ولعنة الشريعة على من عُلِّق على خشبة. إنّ رؤية الرسول للمسيح المُقام وانسكاب شخصه في شخص الرسول كان البرهان القاطع أنّ مفاهيمه السابقة كانت خاطئة وهي بحاجة لإعادة النظر فيها.

من غير الصعب أن يتخيّل الإنسان ما الذي يمكن أن يستنتجه يهوديّ فريسيّ رؤيويّ لو آمن أنّ الله قد أقام أحد من بين الأموات وأنّه التقاه مُقامًا على الطريق إلى دمشق؟ التفسير الوحيد هو أنّ النهاية قد بدأت. الدهر الآتي الذي كان يطوق إليه الرؤيويّون قد وصل. الله في المسيح قد دخل التاريخ مجدّدًا ليقلب الموازين ويجدد الخليقة: «الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكلّ قد صار جديدًا».

القيامة بالنسبة للرسول بولس ليست أعجوبة، إنّما حدث خلاصيّ يشير إلى بدء نهاية هذا الدهر وقدوم الدهر الآتي الذي إذا ما وصل إلى ذروته سوف يقضي على قوى الشرّ والظلمة في هذا العالم. إنّ فهم الرسول للقيامة بهذا الإطار هو تفسير رؤيويّ للحدث. القيامة هي بداية لنهاية تفتح افقًا ومستقبلاً جديدين. لا يمكننا تفهّم هذا الجانب من الفكر المسيحيّ للرسول بمنىء عن فكر بولس الرؤيويّ قبل الاهتداء والذي ذكرته سابقًا.

من أهمّ تداعيات رؤية المسيح المقام وانسكاب شخصه في شخص الرسول هو أنّ الصليب لم يكن لعنة. الله لا يمكن أن يقيم من بين الأموات ما قد سبق واعلن لعنته عليه. التفسير الوحيد لما حصل هو أنّ الله في المسيح المصلوب والمُقام كان يخلق خليقة جديدة، ويتعاطى مع البشريّة من خارج أطر الشريعة. هذا يعني أنّ الشريعة قد اتت إلى نهاية في المسيح.

المسيح نهاية الشريعة يعني استطرادًا أنّ البر الذي كان يطمح اليه اليهوديّ من خلال عيش فرائض وأعمال الشريعة قد أتى أيضًا إلى نهاية. البر أي العلاقة

الصحيحة مع الله، البر الذي في المسيح، هو الآن من خارج أطر الشريعة وأعمال الشريعة. البر هو من خلال الإيمان بما رتبه الله بالمسيح من أجل البشريّة.

وإذا كان المسيح نهاية الشريعة، أي نهاية لذلك السياج الذي يعيق التواصل والشراكة بين اليهود والأمم، فهذا يعني أنّ الله بالمسيح كان يفدي الخليقة كلّها من يهود وأمم. الخلاص الذي في المسيح هو خلاص عالميّ.

إنّ زمن افتخار اليهوديّ على الأمميّ كونه يعرف إرادة الله من خلال معرفته بالشريعة واعتماده عليها قد ولى. الخليقة الجديدة في المسيح لا تفرق بين يهوديّ وأممي لأنّ الذي كان يمّيز بينهما قد أتى إلى نهايته.

إنّ فهم الرسول لدعوته أن يكون رسولاً للأمم مرتبط إرتباطًا وثيقًا بما حدث على الطريق إلى دمشق وتداعيات هذا الحدث على فكره السابق. هذه التدعيات على فكر الرسول لم تنشأ بالضرورة لحظة الحدث. إنّما على الأرجح كانت نتاج فترات لاحقة من التأمّل والتبصّر في معاني الحدث.

لحظات كانت تلك على الطريق إلى دمشق، لكنها غيّرت مسار إنسان من مضطهد إلى داعية وغيّرت معها مجرى التاريخ وقدر البشريّة.

## المراجع


BEKER J. Christiiaan, Paul The Apostle: The Triumph of God in Life and Thought (Philadelphia: Fortress Press, 1987).

DUNN James D. G., The Theology of Paul the Apostle (Grand Rapids: W.B. Eerdmans, 1998).

CHESTER Stephen J., Conversion at Corinth: Perspectives on Conversion in Paul's Theology and the Corinthian Church (New York: T & T Clark, 2003).

عوّاد جوني، «الفكر الرؤيويّ لبولس»، **القدّيس بولس رسول الأمم**، إعداد الأب جورج خوّام البولسيّ، جونيه، المكتبة البولسيّة، ٢٠٠٩، ص ٢٥–٣٢.